رسائل غرام

بين نساء شهيرات ورجال عظام

الرسالة الثامنة

من توماس هود الى روح مس كليمانسي

(توماس هود شاعر من أبلغ شعراء الانكليز عاش في النصف الأول من المئة التاسعة عشرة . توفيت أمه وتركته طفلاً لعناية رابّته فنشأ رقيق الاحساس شديد التأثر حتى بلغت به رقة الشعر حـد الجنون . وكان يهوى فتاة جميلة تدعى مس كليمانسي عاهدها على الاقتران ولكن فرط الديون التي كان يُطالب بها الجأته الى الفرار من انكلترا فلم يرجع اليها الاّ بسبب موت حبيبته . وقد كتب اليها الرسالة الآتية على أثر موتها ونظم فيها قصيدة هي من أرق ما تصوره شاعر في هذا الموضوع)

أيتها الروح الطاهرة :

لستُ أعلمُ أين أنتِ الآن ، وأين مقرُّكِ من عالم الأبدية . لعلك رفرفين بأجنحتكِ الذهبية في هذا الفضاء اللانهاية له ، وتتنقلين بين كواكبهِ السابحة ، كما تتنقلُ الفراشة في الحقول . وسواء كنتِ مستقرّةً في رحبتهِ أو محلّقةً في فراغهِ ، فلا شك انكِ ترين عالمنا هذا أقلّ مما ترى النسرُ النملة من علوهِ الشاهق ؛ وتتذكرين ايامكِ القليلة على هذه الارض السابحة معكِ في فراغٍ غير مدركِ الحدود

فان كنتِ ، وأنتِ خالعة ثوب الهولى ، قد نسيتِ ايامَ كنا نجلس معاً على شاطئ تلك البحيرة الهادئة ، فأنا لا أنسى تلك الايام السعيدة ،

بل أذكر كيف كنا نحبسُ شفاهنا عن النطق لتتكلمَ القلوبُ ، ونحدق بأبصارنا في الأفق لنتفرّغ اكثر للتأمل في الحب . ولقد اذكرتني بكِ اليومَ مفكراتي التي ولعت بتدوينها منذ حداثتي ، وقد كان بودي لو بقيت ذكرى الماضي دفينةً في الفؤاد لأن في عودتها الى البال فتحاً لجروحٍ لا تقبل الاندمال

أيتها الروح الطاهرة . سلامُ الله عليكِ ، كلما خفق جناحاكِ وخفق معهما فؤادي لذاكركِ ! سلام الله عليكِ ، كلما برزت الشمس من وراء الأفق تنثر التبر من أشعتها الذهبية ! إنْ كنتِ قد سلوتني ، فان بين جنبيّ قلباً لا ينبض الا لذكراكِ ، ولا يخفق الاّ لخفوق جناحيكِ . وان كان عالم الأرواح قد أنساكِ عالم الهيولى ، فلا كانت الأبدية ولا عالمها ! لأنّ ساعةً واحدة بقربك أشهى من الخلود في فردوسٍ لا تكونين فيهِ . وما الذي يهمني ان طال الخلود أو قصر ، انْ لم تكوني في ذلك العالم الخالد ، كما كنتِ في هذا العالم الفاني ؟

بل انعمي بالاً ، ولتقرَّ عيناكِ بما أنتِ فيهِ من نعيمٍ وهناءٍ ! فحسبي سعادةً ان تتمتعي بما تشتهين . وثقي ان قلبي الذي كان يودُّ لو ترفرفين فيهِ بجناحيكِ لهو فارغ الا من رسمك ؛ وقد دُفن الحبُّ في كل زاويةٍ من زواياه فهو مثقلٌ بيأسٍ تنوءُ بثقلهِ راسيات الجبال

ايهِ أيتها الروح الطاهرة ! ما الذي ترينه في ذلك العالم الواسع من أسرار الحياة ؟ وما الذي شغلكِ عن ذكرى حبنا القديم ، وقد كنتِ ، وأنتِ على هذه الارض ، تصفينه بالخلود ، وتقولين انهُ مستمدٌّ من عالم

لأرواح ، اذ لا بداءة لهُ ولا نهـاية . فاذا صدق قولهم انَّ الأرواح تحلق في الفضاء ، فلماذا لا ترفرفين حولي بجناحيكِ ، وتسمعينني ذلك لصوت الرخيم الذي عوّدتني سماعهُ وأنتِ بعد على هذه الارض ؟

سقياً لمواقف ذلك الغرام ، أيتها الروح الطاهرة . قد كنتِ في الحياه خافقةَ الفؤاد ، وأنتِ الآن خافقة الجناحين . وأما أنا ، فلا أزال كما كنت ثابتاً على الولاء ، مقيماً على العهود ، وان كان لي بعد أُمنية في هذه الحياة فهي ان أُمتَّع بنظرةٍ منكِ في عالم الابدية ، وأظلكِ بجناحيَّ في فردوس البقاء

كثيراً ما أقصدُ الى مثواكِ وأتفرَّسُ في تلك الحفرة التي يرقد فيها هيكلكِ الجثماني رقدته الدائمة ، فتضيق الدنيا في عينيَّ وتمثل لي رحبة الفضاء الذي تحلّقين فيهِ أضيق من سُمّ الخياط . ولكم وقفتُ برمسكِ خاشعَ الطرف ، حاسرَ الرأس ، وعواطفي ثائرةٌ في داخلي ، فأرى الحياة حلماً ، والعالم كله مجموعة شقاء . وأنَّى للحلم ان يستمرَّ نعيمهُ ، اذا انتقلت النفسُ منهُ الى يقظة رائعة ؟

القبر !

هناك ، حيث ينقطع كلُّ صوت ، وتبطل كلُّ حركة ؛ هناك ، حيث تنحلّ الهيولى وتنتهي الحياة ، هناك ، حيث يضيع كلُّ عزاء ، وتقلُّ كل مواساة

ما أتفه الحياة بدونكِ يا كليمانسي كل يومٍ منها أبديةٌ مملَّة ؛ والنفسُ لا عزاءَ لها سوى الغد ؛ ولكنَّ الغد غامضٌ كأسرارِ الأبدية ، فاذا لاح فجرُه بكيتُ على أمسهِ

نعم ، هي أيامٌ تنقضي يا كليمانسي وما بقي منها أقلُّ مما عبر. ولا بدَّ ان يأتي ذلك الغد الذي تنطوي فيهِ آخر صفحةٍ من العمر ، فيتثاءب القبرُ وأُصغي الى حفيف اجنحتكِ ، والنفس تائقةٌ الى النجاة من اغلال المادة لتحلِّق معكِ في فراغٍ لا نهاية له . فمتى يبزغ ذلك الفجر المجيد ؟ إنَّ أحلامنا لم تتحققْ في هذه الحياة ، فهل تتحقق في العالم الآخر ؟ أم تكون الأبدية أقسى من عالم الفناء ، فيمتدُّ بنا الفراق ، وينقطع كل أملٍ من اللقاء.

هوذا أنا أنتظرُ ذلك الغد

فسلام الله الى حين اللقاء ...

(بقلم سليم عبد الأحد)　　نوماس هود

شيءٌ عن الفن

كتبتُ في مجلة « الزهور » مقالاً تحت هذا العنوان ، فتفضلت السيدة لبيبة هاشم بالردّ عليَّ مبديةً رأياً غير رأيي . فلم يذهلني ذلك لعلمي أن قيمة الفنون الجميلة في نظر السيدة لبيبة توازي قيمة خرافات العجائز « وقصص الغول وعنقاء بنت الريم » في نظر الفيلسوف الباحث ، فضلاً عن ان حضرتها تسيء الظن في جماعة الفنّيين وربما تحسبهم أعضاء عليلة في جسم المجموع الانساني . فلذا أظنها مستحسنة في سرّها ان يمرَّ الطبيب آلته الكهربائية على جسم كل واحدٍ من أفراد هذه الزمرة الخبيثة : زمرة الموسيقيين والمصوّرين والنقاشين والشعراء ، لعلهم يعودون